

أنا وأنت على الطريق التكيف مع الواقع هو مفتاح السعادة

صديقتي المستمعة،

هل سمعت سيدتي أن التكيف مع الواقع هو مفتاح السعادة؟ تعالي معي سيدتي لنستمع معا إلى ما جاء في هذا التقرير ونقلته إحدى الصحف العربية: قال علماء من ألمانيا في دراسة جديدة إن عدم الندم على الفرص الضائعة في الحياة والتركيز على ما هو جميل هو مفتاح الحياة المحفوفة بالصحة في الكبر. وقال الباحثون إن " التعامل الهادئ مع الفرص الضائعة في الحياة يلعب دورا حاسما في تحقيق الرضا عن الحياة في الكبر. وإن هذا التعامل ربما كان بمنزلة وقاية لصاحبه من الإصابة بالإحباط. " ويؤكد العلماء على ضرورة أن يتكيف الإنسان مع المعطيات المتغيرة في الحياة ليظل سليما من الناحية العاطفية. وهم أجروا خلال دراستهم تجربة، خاض خلالها المشاركون في التجربة ثمانين شوطا من لعبة حظ على الكمبيوتر . وتزايدت فرص تحقيق مكاسب في هذه اللعبة كلما أبدى المشارك في اللعبة المزيد من الإقدام، ولكن احتمالات الخسارة تزايدت أيضا.

وكان القائمون على التجربة يشرحون للأشخاص المشاركين عقب فوزهم في أحد الأشواط، الفرص التي كانت متاحة لهم لتحقيق مزيد من المكاسب ، لو أنهم كانوا أكثر حبا للإقدام والمخاطرة ، وهو ما تسبب عادة في الندم والغضب لدى صغار السن المشاركين في التجربة. وبذلك أكد العلماء أن عدم الحزن على الفرص الضائعة والنظر للأمام للاستفادة من الفرص المقبلة هو مفتاح السعادة لدى كبار السن الذين عاشوا تجارب عدة. إلى هنا ينتهي التقرير. نعم يا سيدتي، فالندم على ما فات لا يجدي نفعا البتة. وكذلك الندم أيضا على الفرص الضائعة من حياتنا يؤدي بنا إلى مزيد من الحسرة واللوعة فنعيش من بعده في لوم دائم تجاه أنفسنا ولسان حالنا يقول: لماذا لم أفعل كذا وكذا عندما سنحت الفرصة لي؟ ولماذا لم أتزوج بالفتاة التي رغبت بها؟ ولماذا لم أتزوج بالفتى الذي أحببت؟ ولماذا لم أدرس موضوعا آخر في الجامعة بدل الفلسفة مثلا، ويا ليتني لم أهاجر إلى بلد آخر، فأنا لم أتكيف حتى الآن... وإلى ما هنالك من ندم وحسرة على ما فات من فرص. إن ما حصل معنا في الماضي وما قابلناه من فرص وأخرى من صدف، لهو درس علينا أن نتعلم منه. حتى بالتالي نستفيد مما مضى في الحاضر والمستقبل. قيل إن الفرصة لن تعود إلينا. هذا صحيح فما فات قد فات. لكن نتعلم من ذلك بأن لا نضيع الفرصة إذا ما سنحت لنا مرة أخرى.

الندم الذي يندمه الإنسان من أجل فعله ما في حياته الماضية، أو من أجل فرصة فائته، يجلب إلى الإنسان الاكتئاب واليأس. أما الندم الذي يؤدي بنا يا سيدتي إلى اتخاذ قرار إيجابي فهذا يكون مجديا بالحق. بمعنى أن يترافق الندم مع التوبة أو تغيير الاتجاه الذي تسير على نهجه حياة كل منا، هو ما يساعدنا على الوصول في المرات الثانية. هكذا أيضا يا سيدتي بالنسبة لعلاقتي مع الله. أجل لأن الله خلقني لكي يكون لي معه علاقة وشركة حية، لكن عصيان الإنسان الأول أدى بي إلى الانفصال عنه تعالى. أما الله المحب فلم يترك الإنسان بل منحه فرصا أخرى ليعود إليه ويتوب عن عنايه وخطاياهم وعصيانهم.

وهذا ما حصل بالضبط مع امرأة من السامرة في القديم. إذ يخبرنا الإنجيل المقدس عن لقائها مع الرب يسوع المسيح عند بئر السامرة. قال لها يسوع: "أعطني لأشرب". فقالت له: كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية. أجاب يسوع وقال لها: لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا... من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا، ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية. قالت له المرأة: يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا أعطش ولا آتي إلى هنا لأستقي". ولما طلب بأن تأتي بزوجها اعترفت قائلة: ليس لي زوج. فكشف لها يسوع بأنه كان لديها خمسة أزواج والذي لها ليس هو زوجها. فتعجبت قائلة: أرى أنك نبي. عندها بين لها بأن الذين يسجدون للآب يسجدون بالروح والحق. وأن الله طالب مثل هؤلاء. الله روح والذي يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا. ولما قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيا يأتي. قال لها يسوع أنا الذي أكلمك هو. فتركت جرتها وراحت تخبر الناس في المدينة عنه.

نعم لقد استفادت هذه المرأة من الفرصة التي أتاحتها لها المسيح، لكي تعرف بالحق من هو بأنه المسيا الذي كان الشعب في القديم ينتظره. وعلى الرغم من طريقة عيشها، لم يُدنها. بل منحها فرصة للعودة والرجوع عن خطاياها وآثامها. وبين لها أنه هو الماء الحي الحقيقي الذي ينقي القلوب من الآثام. وهكذا آمنت المرأة به وحصلت على حياة جديدة بعيدة عن الشر والإثم. وراحت تخبر الآخرين عنه أيضا. فهل تستفيدين سيدتي من الفرصة المتاحة لك للإيمان بالرب يسوع المسيح المخلص والحصول على الغفران الأبدي؟ قبل فوات الأوان؟
